مناظر المحاضر للمناظر الحاضر

للشيخ العارف الكامل المتقي

شيخ علاء الدولة السمناني

عليه رحمة الباري

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بور سعيد – الظاهر
ت : ٩٣٦٢٧٧ – ٩٢٢٦٢٠

مكتبة الثقافة الدينية
لصاحبها : أحمد أنس عبد المجيد
الإدارة والمركز الرئيسى : ٥٢٦ ش بور سعيد - الظاهر
فـــرع : ١٤ ميـــدان العتبـــة
تليفون : ٩٣٦٢٧٧ - ٩٢٢٦٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا الى الطريق النقية الرضيّة ، ونجانا من التقيّة الغير المرضية ، واظهر نور الولاية العليّة في قلوب اهل الصفَة الصفيّة ، وابرز من كمام الهداية نور العناية الازلية ، واينع على اغصان اشجار الصوفيّة الصفوتيّة ثمرة الوفاء الّتي هي الكفاية الابديّة .

١ ـ امّا بعد ، فقد الهمني الوقت المصفي عن المقت بأن ابرز من معادن الكمالات الكاملات الولاية الولوّية العلويّة السنّيّة جواهر الاسرار الحقّيّة المحرومة في الكنوز الحفيّة الواردة على سرّه المزكّي من الكدورات البشريّة الملقّي من روحانية خاتم النبيين باسم الوصاية العلوم اللدونية . واسمّي هذه الرسالة «مناظر المحاضر للمناظر الحاضر» ليكون لي وسيلةً الى شفاعة المحسنين الكاملين الصادقين الثابتين على جادّة الصادقة الكاملة الحسنيّة الحسينيّة الكميليّة الصادقيّة . واسلك في تحريرها سبيل المنصف المتّصف بصفات طلّاب الحقّ غير مائلٍ الى طرف الافراط والتفريط ليجعلني الله من النمط الاوسط والامّة الوسط(ى) إن شاء الله تعالى .

٢ — اعلم ، يا من ليس له في تيه التقليد مجال ، آن النبي — صلّى الله عليه وعلى آله خير آل — اذا أُنزل عليه «يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك وان لم تفعل فما بلّغت رسالة والله يعصمك من الناس »[1] قام قائماً في غدير خمّ ، واخذ بيد عليّ — عليه سلام الله وسلام رسوله — على ملاء من المهاجرين والانصار ، وقال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » . وهذا حديث صحيح وفيه امر صريح بالتمسّك بحبل موالاته والاجتناب عن ذلّ معاداته . ولا ينكر هذا الّا شقي عنيدٌ او جاهد عتيد ، ومن كان سعيدًا رشيدًا يفهم من مخوي هذه الآية خطابًا قهريًا لا محيض له من ابلاغها ولو كره الحاضرون ، واشمّ من نسيم هذا الخطاب انّه تعالى امر نبيّه — عليه السلام — بابلاغ هــذا المعْني ، وهو — عليه السلام — أخّره رحمةً على اصحابه وشفقةً على من يكون في صدره من على — عليه سلام الله وسلام رسوله — شيّ يسيرٌ ليخرجهْ بالرفق ثمّ يبلغهم ما امره الله به ؛ لانّه تعالى بالغ في ضمن هذه الآية بقوله « وان تفعل فما بلّغت رسالة » ثم يقول « والله يعصمك من الناس » لئلا يلتفت في ابلاغ هذه الآية وما في ضمنها الى احدٍ فبلّغ وبالغ في امر بالموالاة وترك المعاداة .

٣ — وما كان ذلك امرًا محتصرًا على موالاة نفس عليّ ومعاداته فحسب ، بل فيه اشارة الى اخذ العلم المودع فيه من حيث الولاية الالهية والوصاية النبويّة منه . فمن اتى من بابه اخذ . وقد صحّ عن النبي الصدّوق — صلّى الله عليه وآله — انّه قال : « انا مدينة العلم وعليّ بابها » . وقد شاهدت في الواقعة هذه الحالة بعينها .

٤ — وما يدلّ على صحّة ما قلت بيّنًا انّه — عليه السلام — اخّر الابلاغ شفقة على الامّة قول حذيفة . قالوا :« يا رسول الله لو استخلفت» . قال — عليه السلام — : « ان استخلفت عليكم فعصمتموه عذّبتم ولكن ما حدثكم حذيفة فاخذ من اخذ

---

(١) سورة ٥ (المائدة) آية ٦٧

وترك من ترك » . ولولا كلام المطابق لما روي عن النبي – عليه السلام – وهو قوله : « يا عليّ يهلك فيك اثنان محبّ غال ومبغض » .

٥ – قال للخوارج كما نصّ به النهج ، يشقّ على بيانه وشاقّني اهل الشقاق فيه . وهو قوله : « فان ابيتم الّا ان تزعموا أنّي اخطأت وضللت فلِمَ تُضلّلون امّة محمّد – صلّى الله عليه وآله – بضلالي ، وتاخذونهم بخطائي وتكفرونهم بذنوبي ؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسقم ، وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب ، [وقد علمتم أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وآله – رجم الزاني المحصن ثمّ صلّى عليه ، ثم ورّثه اهله ، وقتل القاتل وورّث ميراثه اهله ، وقطع السارق ، وجلّد الزانيّ غير المحصن ، ثمّ قسّم عليهما من الفيء ، ونكحا المسلمات ، فاخذهم رسول الله – صلّى الله عليه وآله – بذنوبهم ، واقام حقّ الله فيهم ، ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام ، ولم يخرج اسماءهم من بين اهله . ثمّ انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه ، وضرب به تيهه . وسيهلك فيّ صنفان : محبّ مفرط يذهب به الحبّ الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحقّ . وخير الناس فيّ حالاً النمط الاوسط فالزموه ، والزموا السواد الاعظم . فانّ يد الله على الجماعة ، وايّاكم والفرقة فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان ، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب ، الا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه . وانّما حكّم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن . واحياءه الاجتماع عليه ، واماتته الافتراق عنه ، فان جرّنا القرآن اليهم اتبعناهم ، وان جرّهم الينا اتبعونا . فلم ات] – لا ابًا لكم – بجرًا ولا ختلتكم عن امركم ، ولا لبّسته عليكم انّما اجتمع رأى ملئكم على اختيار رجلين اخذنا عليهما ان لا يتعدّيا القرآن فتاها عنه ، وتركا الحقّ وهما يبصرانه . وكان الجور هواهما فمضيا عليه . وقد سبق استثناءنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما »[1] .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٢٧

٦ ــ فاخبرنا في طيِّ هذه الكلمات ما يكفينا في اعتقادنا فيه. فالواجب علينا اَن نبيِّن النمط الاوسط المشار اليه فيما سبق، وقد قال ايضًا الطريق الوسط هي الجادّة عليها بما في الكتاب وآثار النبوّة ومنها منقذ السنّة واليهـا مصير العاقبة. ولا يمكن تبيينه الّا بعد تبيين المفرطين الزائغين عن الصراط المستقيم.

٧ ــ فافهم جدًّا ولا تجاوز حدًّا ان المحبّ المفرط الّذي يذهب به المحبّ الى غير الحقّ ثلاثة اصناف، وكذلك المبعض المفرط. فالصنف الاوّل من المحبّ المفرط هو الذي يزعم انّه الّه حلولًا واتحادًا؛ والثاني يزعم انّه شريك في النبوّة والنبوّة ظاهر الولاية والولاية باطن النبوّة، ظاهره من قبله العذاب وباطنه فيه الرحمة. ولهذا الصنف كلمات عازية عن العقل والدين يجب ان لا نلوّث هذه الرسالة بمزخرفاتهم.

٨ ــ والثالث يزعم ان تولّيه موقوف على التبرّئ عن الجميع الصحابة من المهاجرين والانصار الّا ثلاثة عشر نفسًا، ويسبّون حرم الرسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ وسادات المهاجرين والانصار، ويقولون انّهم ارتدّوا بعد رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ. قد سبق قول امامنا مع الخوارج تشنيعًا عليهم بانهم كفّروا بعض الصحابة، وقال ان النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ قتل القاتل، وقطع السارق، ورجم الزاني، وما اخرج اساميهم من المسلمين، وورّثهم وصلّى عليهم، فكيف يجوز سبّ الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وحرم الرسول وقد مضى بسبيله في حجرها وحجرتها وهو راضٍ عنها. وامامنا يقول في حقّها ولها بعد حُرمتها الاولى: « والحساب على الله ».

٩ ــ وما يدلّ على انّها مجبورةٌ في خروجها عن المدينة، قوله حين حكي حال طلحة والزبير انّهما حبسا حرمهما في المدينة: «فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ كما تجرّ الاَمَة عند شرائهم، متوجّهين بها الى البصرة،

فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله »[١].

١٠ ـ وهو يمنع واصحابه عن سبّ نساء البغاة في صنف القتال بقوله: « ولا تهيجوا النساء بأذًى، وان شتمن اعراضكم، وسبّبن أمراءكم. فانهنّ ضعفاء النفس والعقول، ان كنّا لنومر بالكفّ عنهنّ وانّهن لمشركات »[٢] فبيّن في هذا القول انهنّ غير مشركات.

١١ ـ وقال ايضًا لاصحابه اذ سمع منهم انهم يسبّون اهل الشام: « انّي اكره لكم ان تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول، وابلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم ايّاهم: الّلهمّ احقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقّ من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به »[٣].

١٢ ـ فلو كانوا عند امامنا كافرين لما يجوز له دعاءهم بقوله: « اللّهمّ احقن دماءنا ودماءهم »، بل يوصي اصحابه قبل لقاء العدو بصفين بقوله: « لا تقاتلوهم حتّى يبدؤكم، فانّكم ـ بحمد الله ـ على حجّة، وترككم ايّاهم حتّى يبدؤكم حجّة اخرى لكم عليهم، فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبِرًا، ولا تصيبوا معورًا، ولا تجهزوا على جريح »[٤].

١٣ ـ وبالغ ايضًا في النهي عن عيب الناس بقوله: « وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان يرحموا اهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم، والحاجز لهم عنهم. فكيف بالغائب الذي غاب اخاه، وعيّره ببلواه؟ امّا ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي غابه به؟ وكيف يذمّه بذنب قد ركب مثله؟ فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٧١
(٢) نهج البلاغة كتاب ١٤
(٣) نهج البلاغة خطبة ١٩٧
(٤) نهج البلاغة كتاب ١٤

فقد عصى الله سبحانه فيما سواه مّما هو اعظم منه ، وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس اكبر . يا عبدالله لا تعجل في عيب احد بذنبه فلعلّه مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلّك معذب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلًا له على معافاته مّما ابتلى به غيره »[١] .

١٤ ــ فليتأسّى المتأسّي باسوة امامنا وليقتد بهذه الوصية وليتيقن بانّه ــ عليه سلام الله وسلام رسوله ــ ما رضي من اصحابه حين قال له الخارجيّ اذا سمع منه انّه وعظ الناس فمرّت بهم امرءة فنظروا اليها . قال : « ان ابصار هذه الفحول طوامح ، وإنّ ذلك سبب هبابها ، فاذا نظر احدكم الى امرءة تُعْجِبُهُ فليلامس اهله ، فانّما هي امرءة كامرءته قاتله » . ــ « الله كافرًا ما افقهه » . فوثب القوم ليقتلوه . فقال ــ عليه السلام ــ : « رويدًا انّما هو سبٌّ بسبٍّ او عفوٌ عن ذنب »[٢] .

١٥ ــ فجعل سبّه ايّاه ذنبًا لا كفرًا . وابلغ من هذا وصيّة للحسن والحسين ــ رضي الله عنهما ــ حين ضربه ابن الملجم الملحم بالنار : «وصيّتي لكم ألّا تشركوا بالله شيئًا ، ومحمّد ــ صلّى الله عليه وآله ــ فلا تضيّعوا سنّته ، اقيموا هذين العمودين ، وخلاكم ذمّ . انا بالامس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم ، وغدًا مفارقكم ! إن ابق فانا ولّي دمي ، وان افن فالفناء ميعادي ، وان اعف فالعفو اليّ قربة ، وهو لكم حسنة ، فاعفوا ــ الّا تحبّون أن يغفر الله لكم ؟ والله ما فجئني من الموت وارد كرهته ، ولا طالع انكرته ، وما كنت الّا كقاربٍ ورد ، وطالب وجد وما عند الله خير للابرار »[٣] .

١٦ ــ فقد حضّهم على العفو عنه ، ولو كان عنده كافرًا لما كان العفو عنه [كلام الخ] قربة له وحسنة لهم ؟ ويقول ايضًا : «يا بني عبد المطّلب لا الفينّكم

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٦٠
(٢) نهج البلاغة حكمة ٤١٢
(٣) نهج البلاغة كتاب ٢٣

تخوضون دماء المسلمين خوضًا تقولون : قُتِلَ امير المؤمنين، قتل امير المؤمنين، الا لا يقتلنّ بي الّا قاتلي. انظروا اذا انا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة »[١] فجعل المتهمين مسلمين، وبالغ في الاحتياط حتّى قال « اذا انا متّ من ضربته هذه » خوفًا من ان عرّض له عارض يكون فيه اجله فيقتلونه بغير حقّ القصاص.

١٧ ـ فاذا كان حاله مع ضاربه والمتهمين في قتله هكذا، فما ظنكم به في سادات المهاجرين الاوّلين ؟ وانّه قال جوابًا لمعاوية : « ما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الاوّلين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم»[٢]. فجعلهم من المهاجرين الاوّلين ذوي الدرجات ـ. وقال تعالى في محكم تنزيله « والسابقون الاوّلون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه »[٣].

١٨ ـ والقول الفصل في هذا الامر انّ سبّ الصحابة وحرم الرسول غير مرضي عندنا وعند شيعته من اولياء الله تعالى وكفّ الانس عن الوقيعة في حرم الرسول وحبيبته الّتي توفّي في حجرتها وحجرها راضيًا عنها واجبٌ، وكيف لا، والله تعالى برّأها في كتابه الحميد بقوله : « اولئك مبرّءون ممّا يقولون »[٤] وجعلها امّ المؤمنين. ومن سبّ والدته فهو عاق. ولا شكّ لي انّ امامنا عدّ مخالفيهم من المفتونين. وقال اذ قام اليه رجل فقال له : « اخبرنا عن الفتنة، وهل سالت عنها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ». فقال ـ عليه سلام الله وسلام رسوله ـ : « لما انزل الله سبحانه قوله : « الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا : « آمنّا وهم لا يفتنون »[٥] علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ بين اظهرنا ؛ فقلت : « يا رسول الله ما هذه الفتنة اخبرك الله سبحانه بها ». فقال : « يا عليّ انّ امّتي سيفتنون بعدي ». [فقلت : « يا رسول الله او ليس قد قلت لى يوم احدٍ

---

(١) نهج البلاغة كتاب ٤٧
(٢) نهج البلاغة كتاب ٢٨
(٣) سورة ٩ (التوبة) آية ١٠٠
(٤) سورة ٢٤ (النور) آية ٢٦
(٥) سورة ٢٩ (العنكبوت) آية ٢

حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشهادة فشقّ ذلك عليّ فقلت لي : ابشر فانّ الشهادة من ورائك » . فقال لى : « إنَّ ذلك لكذلك فكيف صبرك اذًا ؟ » فقلت : « يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ،] ولكن من مواطن البشري والشكر » . وقال: « يا عليّ انّ القوم سيفتنون بعدي باموالهم ، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته ، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية ، فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع» فقلت: « يا رسول الله ، بايّ المنازل انزلهم عند ذلك، ابمنزلة ردّة ام بمنزلة فتنة » . فقال : « بمنزلة فتنة »[١] .

١٩ — فما جعلهم مرتدّين ولا كافرين. وكذلك ايضًا في قوله: « ما لي ولقريش ؟ والله لقد قاتلتهم كافرين، ولا قاتلتهم مفتونين ، وانّي لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم »[٢] . وقال تعالى: «وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتى تفئ الى امر الله فان فآءت فاصلحوا بينهما »[٣] .

٢٠ — وقال امامنا : « لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحقّ فاخطأه ، كمن طلب الباطل فادركه »[٤] . عنّي بهذا الكلام عن الخوارج طلبوا الحق فاخطاه ، ومعاوية طلب الباطل فادركه . وانا على ما عليه امامي — عليه سلام الله وسلام رسوله — والملاء الاعلى ، واقول: تلك امة قد خلت لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت، ولا تسئل عمّا كانوا يعملون ؛ وصرّح في كتاب كتبه جوابًا لمعاوية : « اما بعد فانّا كنّا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ، ففرق بيننا وبينكم أمس انّا امنّا وكفرتم ، واليوم انا استقمنا وفتنتم »[٥] . فجعله من المفتونين .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٥٥
(٢) نهج البلاغة خطبة ٣٣
(٣) سورة ٤٩ (الحجرات) آية ٩
(٤) نهج البلاغة خطبة ٦٠
(٥) نهج البلاغة كتاب ٦٤

٢١ ــ واخرج البخاري عن امّ سلمة انّها قالت : قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه [وآله] وسلّم ــ : «تقتل عماراً الفيئة الباغية.» وقد قتل بالصفين وهو مع امامنا. فجعل النبي ــ صلَّى الله عليه وآله ــ معاوية واصحابه الفيئة الباغية، وما جعلهم كفّارًا . فاذا كان الحال مع معاوية الباغي ابن الطاغي ، هكذا فكيف يسوغ لاحدٍ ان يطول لسانه في صاحب غار الرسول وصحبته في حيوته وبعد وفاته وفيمن اقتدى به امامنا في الصلوة والحرب مع اهل الردّة، وعاونهم في جميع الامور، وعلّمهم ما كان خيرًا لهم في دينهم ودنياهم ، ولو كان قتالهم عند امامنا واجبًا لما كفّ عنه؟

٢٢ ــ اما ترى انّه يقول في قتال معاوية : «وقد قلّبت هذا الامر بطنه وظهره ، حتّى منعني النوم، فما وجدتني يسعني الّا قتالهم ، او الجحود بما جاء به محمّد ــ صلَّى الله عليه وآله ــ؛ فكانت معالجة القتال اهون عليّ من معالجة العقاب ، وموتات الدنيا اهون عليّ من موتات الآخرة»[١].

٢٣ ــ ومع هذا كلّه جعله من البغاة، وصلّى على قتيلهم، وما استحلّ دماءهم الّا في صفّ القتال ، واحبّ الرفق في قتالهم ، حتّى قالت اصحابه حين استبطئوا اذنه لهم في القتال بصفين : «ان الرجل قد شكّ في امر الخصم او كره الموت».فاجاب لهم : «اما قولكم : أكلّ ذلك كراهته الموت ، فوالله ما أبالى دخلت على الموت او خرج الموت اليّ ، وامّا قولكم شكًّا في اهل الشام ، فوالله ما دفعت الحرب يومًا الّا وانا اطمع ان تلحق بي طايفة فتهتدي بي ، ويعشو الى ضوئي، وذلك احبّ اليّ من أن اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها»[٢].

٢٤ ــ واما المبغض المفرط الذي يذهب البغض به الى غير الحق، فهو ايضًا على ثلاث طبقات . الاولى هم الذين كفّروا امامنا ؛ والثانية هم الذين يضلّلونه وينسبونه الى الخطاء ؛ والثالثة هم الذين جعلوا معاوية الباغي تلو الخلفاء من غير

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٥٣ (٢) نهج البلاغة خطبة ٥٦

بقعة مرضية . وقالوا انّه اجتهد لله واخطأه في اجتهاده، وعند اولياء الله الثاني مسلم والاوّل غير مسلم ؛ ولا شكّ في انّه طلب الملك والدنيا لهوى نفسه ، لا لله تعالى . وتفويض امره عند وفاته الى ولده المشؤومة مع تيقّنه بتهتّكه وعدم دينه دالٌّ على صدق دعواي . ولو كان مجتهدًا ، فما كان مفوضًا امر المسلمين الى ولده ، ولو كان صالحاً ، كما فعلا ابو بكر وعمر، مع ان لمحمد بن ابي بكر وعبد الله بن عمر صحبة وفضايل كثيرة ، ولا يمكن لاحدٍ خلاف امرهما لو عقد البيعة الى ولديهما . فمن يزعم ان معاوية وولده المشؤومة كانا من اهل الله، فهو على خطاء صريح كابر مكابرةً قبيحة بعاند الحق ويعين الباطل .

٢٥ ـ ومن يزعم ان امامنا كان راضيًا بخلافة ابي بكر وعمر وعثمان، فهو جاهل بما قال امامنا في حقّهم ، وهو : «وانّه ليعلم انّ محلّي منها محلّ القطب من الرحي : ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى اليّ الطير، فسدلت دونها ثوبًا ، وطويت عنها كشحًا ، وطفقت ارتإس بين ان اصول بيدٍ جذاء ، او اصبر على طنخية عمياء ، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير ، [ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه .] فرأيت انّ الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذًى، وفي الحلق شجًا ارى تراثي نهبًا . حتّي مضي الاوّل لسبيله ، فادلى بها الى فلان[1] بعده . (ثمّ تمثل امامنا بقول الاعشي) :

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان اخي جابرِ

فيا عجبًا بينا هو يستقيلها في حياته ، اذ عقدها لاخر بعد وفاته لشدّ ما تسطّر اضرعيها ، فصيّرها في خوزةٍ خشناءَ ، يغلظ كلمها ويخشن مسّها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها . فصاحبها كراكب الصعبة ، إن اشنق لها خرم ، وإن اسلس لها تقحّم ، فمُنِيَ الناس لَعَمْر الله بحبط وشماس ، وتلوّن واعتراض . فصبرت على طول المدّة والشدّة المحنة . حتّى اذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زعم أنّي احدهم ، فياالله

(١) فلان : ابن الخطاب N

وللشوري، متى اعترض الريب فيّ مع الاوّل منهم، حتّى صرت اقرن الى هذه النظائر؟ لكنّي اسففت إذ اسفّوا، وطرت اذ طاروا، فصغي رجل منهم لضغنه، ومال الآخَر لصهره مع هنٍ وهنٍ. الى أَن قام ثالث القوم نافجًا حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع، الى ان انتكث فتله، واجهز عليه عمله، وكبت به بطنته. فما راعني الّا والناس كعرف الضبُع اليّ، ينثالون عليّ من كلّ جانب، حتّى لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلمّا نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط اخرون، كأَنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الارض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين»[1] بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في اعينهم، وراقهم زبرجها. اما والذي فلق الحبّة، وبرء النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما اخذ الله سبحانه على العلماء أَلّا يقارّوا على كِظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لأَلقيت حبله على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس اوّلها، ولأَلفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنزٍ»[2].

٢٦ – وقال – عليه السلام – لما عزموا على بيعة عثمان: «لقد علمتم انّي احقّ بها من غيري، ووالله لأُسلّمنّ ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ الّا عليّ خاصّةً، التماسًا لاجر ذلك وفضله، وزهدًا فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة»[3].

٢٧ – وكذلك قوله – عليه السلام – في كتابه الى اهل مصر مع مالك الاشتر لمّا ولّاه امارتها:

«اما بعد، فانّ الله سبحانه بعث محمّدًا نذيرًا للعالمين ومهيمنًا على المرسلين؛ ولما مضى – صلّى الله عليه وآله – تنازع المسلمون الامر من بعده. فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر على بالي[4] أَنّ العرب يزعج هذا الامر من بعده – صلّى

---

(١) سورة ٢٨ (القصص) آية ٨٣
(٢) نهج البلاغة خطبة ٣
(٣) نهج البلاغة خطبة ٧٣
(٤) على بالي: ببالي N

الله عليه وآله ــ عن اهل بيته، ولا انّهم منحّوه عنّي من بعده ! فما راعني الّا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فامسكت يدي حتّى رايت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى مَحقِ دين الله[١]، فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلمًا او هدمًا تكون المصيبة به عليّ اعظم من فوت ولايتكم الّتي انّما هي متاع ايام قلايل يزول منها ما كان كما يزول السراب، او كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك من بعد[٢] حتّي زاح الباطل وزهق، واطمأَن الدين وتنهنه »[٣].

٢٨ ــ فبيّن امامنا في طي هذه الكلمات ما يغيبنا عن القول بالتخمين، واوضح انّه قبض يده في الاوّل عن البيعة، ثمّ بسط في الآخر، وساعدهم في جميع الامور، وذكرهم ما نسوه، وعلّمهم وجهلوه، ورضي بالجور على نفسه معاونة لدين الحق وزهدًا في الدنيا، وسمّاهم المسلمين، وصلّى معهم في مسجدٍ واحدٍ، وقضى بينهم فيما جرت لهم من الامور، وما جعلهم من المرتدّين. بل قال ــ عليه السلام ــ: « الصبر على هاتا احجى » خلاف زمن معاوية انّه قال: « ما ارى الّا القتال او الجحود، ومعالجة القتال اهون عليّ » كما سبق ذكره. فكيف يجوز لاحدٍ لعن هولاء الذين قال امامنا في حقّهم انّهم من المهاجرين الاوّلين ؟ وقال حين استشاره عمر في خروجه بنفسه الى غزو الروم: « انك متى تسِر الى هذا العدوّ بنفسك فتلقهم بشخصك، فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون اليه، فابعث اليهم رجلًا محربًا، واخفز معه اهل البلاء والنصيحة. فان اظهرك الله فذاك الذي[٤] تحبّ، وان تكن الاخرى كنت ردءًا للناس ومثابةً للمسلمين »[٥].

٢٩ ــ وكذلك قوله حين استشاره في خروجه ايضًا الى العراق بنفسه: « فكن قطبًا، واستدِر الرحي بالعرب، وأَصلِهم دونك نار الحرب، فانك إِن شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب في اطرافها واقطارها حتّى يكون ما تدع وراءك من

---

(١) الله : محمد N
(٢) من بعد : احداث N
(٣) نهج البلاغة كتاب ٦٢
(٤) اظهرك الله فذاك الذي : اظهر الله فذاك ما N
(٥) نهج البلاغة خطبة ١٣٦

العورات اهمّ اليك ممّا بين يديك، ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدًا يقولوا : « هذا اصل العرب فاذا اقتطمتموه استرحتم » ، فيكون ذلك اشدّ لكَلَبهم عليك، وطمعهم فيك »[١] .

٣٠ ــ وقوله لما اجتمع اليه الناس ، وشكوا ما نقموه على عثمان ، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم ، فدخل امامنا ــ عليه سلام الله وسلام رسوله ــ على عثمان فقال : « ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، فوالله ما ادرى ما اقول لك ؟ ما اعرف شيئًا تجهله ، ولا ادُلّك على امرٍ لا تعرفه ، انّك لتعلم ما اعلم[٢] ، ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلّغكه ، وقد رايت كما راينا ، وسمعت كما سمعنا ، وصحبت رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ كما صحبنا ، وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطّاب باولى من عمل[٣] الحق منك، وانت اقرب الى رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله وسلّم ــ وشيجه رحم منهما ، وقد نلت من صهره ما لم ينالا ، فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصّر من العمى[٤] ، ولا تعلّم من جهل . . . . . فاني لأُنْشِدُك الله ان تكون امام هذه الامّة المقتول ، فانّه كان يقال : يقتل في هذه الامّة امام يفتح عليه القتل والقتال الى يوم القيمة »[٥] .

٣١ ــ وحسبك قوله ــ عليه سلام الله ورسوله ــ لابن عبّاس حين اعرض امامنا عمّا قال في حال خلافة كلّ واحدٍ من الثلاثة : « اذ قام اليه رجل من اهل السواد وناوله كتابًا ، فاقبل ينظر اليه[٦] . فلما فرغ من قرائته، اذ قال له ابن عبّاس : « يا امير المؤمنين لو اطّردتَ مقالتك[٧] من حيث افضيت » . فقال ــ عليه سلام الله وسلام رسوله ــ : « هيهات يا ابن عبّاس تلك شِقشِقَة هدرت ثمّ قرّت »[٨] فعدّ ذلك القول من الشقاشق الّتي لا بدّ للبشر منها خاصّة عنــد غلبة الحال في الرضى والسخط .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٦٦
(٢) اعلم : نعلم N
(٣) من عمل : بعمل N
(٤) العمى : عمىً N
(٥) نهج البلاغة خطبة ١٦٣
(٦) اليه : فيه N
(٧) مقالتك : خطبتك N
(٨) نهج البلاغة خطبة ٣

٣٢ ــ والقول الحق فيه انّه كان بشرًا ، ولنفسه هناتٌ ، وكيف لا؟ وخير البشر يقول: « وانّه لنعان على قلبي وانّي لاستغفر الله في كلّ يوم سبعين مرّةً . » والله تعالى يقول له : «واستغفر لذنبك»[١] . وحكى عن يوسف ــ عليه السلام ــ مثنيًا عليه انّه قال : «وما ابرّئُ نفسي ان النفس لامارة بالسوء»[٢] . وقال امامنا : «ما انا ونفسي ألّا كرائم الغنم كلّما اضمها من جانب انتشرت من جانبٍ » .

٣٣ ــ وعندي انّه ما كان يلا الى الامر الدنيوية ، وكان في خاطره تسليم الامر الى ابن فاطمة ــ رضي الله عنها ــ ، والصحابة يكونون كما كانوا على عهد النبي ــ عليه السلام ــ . وما يدلّ على ما قلت ، قوله حين استسفر عن قول الانصار يوم السقيفة . فقالوا قالت الانصار : « منا اميرٌ ومنكم امير » «فهلّا احتججتم عليهم بانّ رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ وصّى باذ تحسن الى محسنهم ، وتتجاوز عن مسيئهم » . قالوا : « وما في هذا من الحجّة عليهم؟ » فقال ــ عليه سلام الله وسلام رسوله ــ : « لو كانت الامارة فيهم لم يكن الوصية بهم » . ثمّ قال: « فماذا قالت قريش؟ » قالوا : « احتجت بانّها شجرة الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ » . فقال : « احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة »[٣] .

٣٤ ــ وليست الثمرة الّا الحسن والحسين ــ عليهما السلام ــ . ثمّ قوله عند اجتماع الناس اليه بعد قتل عثمان اذا ارادوا بيعته : «دعوني والتمسوا غيري ، فانّا مستقبلون امرًا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا يثبت عليه العقول ، وانّ الآفاق قد اغامت ، والمحجّة قد تنكّرت . واعلموا انّي ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ، ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب . وان تركتموني فانا كاحدكم ، ولعلّي اطوعكم لمن وليتموه امركم ، وانا لكم وزيرًا خير لكم منّي اميرًا »[٤] .

٣٥ ــ فان قيل على قوله : «سيهلك فيّ صنفان محبٌ مفرط يذهب به الحبّ

---

(١) سورة ٤٠ (غافر) آية ٥٥ : وسورة ٤٧ (محمّد) آية ١٩
(٢) سورة ١٢ (يوسف) آية ٥٣
(٣) نهج البلاغة خطبة ٦٦
(٤) نهج البلاغة خطبة ٩١

الى غير الحقّ ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحقّ ». فينبغي ان يكون في النمط الاوسط من بعضه شيء اقول ، وبالله التوفيق . النمط الاوسط هو الذي لا يذهب بحبّه وبغضه الى غير الحقّ ، فربّما يعتري لاحدٍ من المسلمين انّه له ترك القتال لكان خيرًا له وللامّة ، فلا يهلك بهذا الخاطر وامثاله لان خاطر ذلك الرجل نبع من عين الشفقة عليه وعلى الامّة . فلا يذهب به الى غير الحق اذ كان خاطره خطر فيه للحق ، ان لم يكن حقًا . واحمد الله تعالى على ان جعلني ممّن محبّته ايّاه لا يذهب بها الّا الى الحق حسبي حجّة لوجوب محبّته على الامّة قوله تعالى : « قل لا اسئلكم عليه اجراً الّا المودّة في القربى »[1] . ولعمري انّ آل العباء سادات ذوي القربى ، وهم فاطمة وعلي والحسن والحسين ــ سلام الله وسلام رسوله عليهم ــ والملاء الاعلى ، وكفى لكماله وضوخًا طريقته المثلى المدلّلة نسبًا بل هم اولياء الله تعالى شرقًا وغربًا الذين اذعن لهم رقاب المتجبّرة بعدًا وقرباً .

٣٦ ــ وما احسن ما نقل عن امامنا حيث قال : « واعجبا أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة ؟ » وانشدَ في هذا المعني :

« فان كنت بالشورى ملكت امورهم — فكيف بهذا والمشيرون غيّب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم — فغيرك اولى بالنبي واقرب »[2]

٣٧ ــ واني اتعجب من صنفين : صنف يفضّلون عليه غيره بعد النبي ــ عليه السلام ــ مطلقًا ، وصنفٌ يزعمون انّهم شيعته ، ويقتصرون على سبّ سادات المهاجرين والانصار ، ويكفّر السواد الاعظم ، ويقرؤن النهج الذي هو نصّ عندهم ويقولون انّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، ولا يقيّدون بهديه في الزهد والقناعة والجوع والعطش ، ولله تعالى ولبس الخشن ، واكل الحشب حتى ، جعلوا اوقات صلواتهم ثلاثا مع تيقّنهم بانّه قال لمحمّد بن ابي بكر : « صلّ الصلوة لوقتها الموقّت لها ، ولا تعجّل

---

(١) سورة ٤٢ (الشورى) آية ٢٣ — (٢) نهج البلاغة حكمة ١٨١

وقتها لفراغٍ ، ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال ، واعلم انّ كلّ شيء من عملك تبعٌ لصلوتك »[١] .

٣٨ ــ وعيّن اوقاتها الخمسة في كتاب كتبه الى امراء الامصار والاجناد في تعاهد الصلوة : « تعاهدوا الصلوة ، وحافظو عليها ، [واستكثروا منها ، وتقرّبوا بها ، فانّها كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا »[٢] . الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا : « ما سلككم في سقر ؟ » قالوا : « لم نك من المصلّين »[٣] وانها لتحتّ الذنوب حتّ الورق ، وتطلقها اطلاق الربق ،] وشبّهها رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بالحمّة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات ، فما عسي أن يبقى عليه من الدرن ، [وقد عرف حقّها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاعٍ ، ولا قرّة عين من ولد ولا مال . يقول الله سبحانه : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وإيتاء الزكاة »[٤] . وكان رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ نصبًا بالصلوة بعد التبشير له بالجنّة لقول الله سبحانه : « وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها »[٥] ، فكان يامر اهله ويصبّر عليها نفسه][٦] .

٣٩ ــ وبيّن في كتاب آخر باوضح فيما سبق : « امّا بعد ، فصلّوا بالناس الظهر حتّى تفيءُ الشمس مثل مربض العنز ، وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حيّة في عضو من النهار حين يسازفها فرسخان ، وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاجّ الى منىً ، وصلّوا بهم العشاء حين يتواري الشفق الى ثلث الليل ، وصلّوا بهم الغداة والرحل يعرف وجه صاحبه ، وصلّوا بهم صلوة اضعفهم ولا تكونوا فتّانين[٧] » .

٤٠ ــ واعجب من هذا انّهم يشربون الخمر ، ويأكلون الحرام ، ويلبسون الحرير ،

---

(١) نهج البلاغة كتاب ٣٧
(٢) سورة ٤ (النساء) آية ١٠٣
(٣) سورة ٧٤ (المدثر) آيتان ٤٢-٤٣
(٤) سورة ٢٤ (النور) آية ٣٧
(٥) سورة ٢٠ (طه) آية ١٣٢
(٦) نهج البلاغة خطبة ١٩٠
(٧) نهج البلاغة كتاب ٥٢

ويجمعون الحطام، ويشنّعون على مقتفي آثار امامنا بانّهم ليسوا من شيعته، ويعدّونهم من الخوارج– سجن الله من قوم يقرّؤن النهج، ويطالعون كتابه الذي كتبه الى عبدالله ابن عباس، وهو: «فسبحان الله! اما تومن بالمعاد؟ او ما تخاف نقاش الحساب؟ ايّها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب، كيف تسيغ شرابًا وطعامًا وانت تعلم انّك تاكل حرامًا وتشرب حرامًا؟ وتبتاع الإمآء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين المجاهدين الذين افاءَ الله عليهم هذه الاموال، واحرز بهم هذه البلاد. فاتّق الله واردد الى هولاء القوم اموالهم، فانّك ان لم تفعل ثمّ امكنني الله منك لأُعذرنّ الى الله فيك، ولأَضربنّكَ بسيفي الذي ما ضربت به احدًا الّا دخل النار! والله لو أنَّ الحسن والحسين فعلَا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا منّي بارادةٍ، حتّى اخذ الحقّ منهما، وازيل الباطل عن مظلمتهما»[°]– الى آخره. فما ظنّ احدٌ به انّه يأْكل حرامًا، ويشرب حرامًا، ويلبس حرامًا، وله عند امامنا حرمة في الآخرة، لا والله حتّى يذهب مذهبه، ويقفوا اثره، وتقتدي بهداه.

٤١ – وان امامنا يقول: «والله لَأَروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعومًا، وتقنع بالملح مادومًا، ولَأَدَعنّ مقلتي كعين ماءٍ نضب معينها، مستفرغةً دموعها، اتمتلى السائمة من رعيها فتبرّك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، ويأْكل عليّ من زاده فيهجع، قرّت اذا عينه اذا اقتدي بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة، والسائمة المرعية»[١].

٤٢ – ويقول في بعض كلماته: «الى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالًا، ويموتون ضلالًا، ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلى حقّ تلاوته ولا سلعة انفق بيعًا ولا اغلى ثمنًا من الكتاب اذا حرّف عن موضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر»[٢]. فيه اقتدي في هذه الشكوى، واسئل الله الخلاص

---

(١) نهج البلاغة كتاب ٤١
(٢) نهج البلاغة كتاب ٤٥
(٣) نهج البلاغة خطبة ١٧

من هذه البلوى . وعلى دعائه اختم هذه الرسالة لعل الله تعالى يرحم على ذلّي ويحسب دعائي .

٤٣ ـ وهو قوله : «اللّهمّ اغفر لى ما انت اعلم به منّي ، فان عدت فعد عليّ بالمغفرة! اللّهمّ اغفر لى ما وأيتُ من نفسي ولم تجد له وفاءً عندي! اللّهمّ اغفر لى ما تقرّبت به اليك بلساني ثمّ خالفه قلبي! اللّهمّ اغفر لى رمزات الالحاظ ، وسقطات الالفاظ ، وشهوات الجنان ، وهفوات اللسان»[١] .

٤٤ ـ اللّهمّ ثبتني على متابعته في الصورة والمعني ، وتوفّني غير مفتون في هذه البلوى ، ووفقني لسلوك طريقته المرضية التي هديتني اليه في عنفوان الشباب وريعان العمر بالجذبة الخفية والجلّية ، وجعلتني من اهل التقوى ، وادخلتني في زمرة ارباب الرضي! اللّهمّ اجب دعائي بحقّ نبيك المصطفى ، ووليك المرتضي ، وآله ائمّة الهدى ، واصحابه مصابيح الدجى ، والتابعين لهم باحسان الى يوم اللقاء!

* * *

قد اتّفق الفراغ عن تسويد هذا البياض لجامعة احمد بن محمّد بن احمد البيابنكي المعروف بعلاء الدولة السمناني المعرف بالتقصير والتواني ـ تاب الله عليه توبه نصوحًا (كذا!) ـ يوم الثلثا حلت تسع وعشرون من شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعماية بصوفي آباد خداداد لا زالت معبد العباد والزهاد من الابدال والاوتاد حسب الحكم صاحب حقيقي .... قلم اقلّ العباد محمّد محسن غفر ذنوبه وستر عيوبه .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٧٧



المركز الإسلامي للطباعة